تذكير الأحياء بخلق الحياء

تأليف

عبد الهادي بن حسن وهبي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

جمعية السراج المنير الإسلامية

لبنان - بيروت - هاتف وفاكس: ٧٩١٠٥١/ ٠١ ص.ب: ١٣٦٠٩٣ شوران

الموقع على الشبكة: www.asseraj.net - بريد إلكتروني: asseraj@asseraj.net

رقم الحساب: (٣٣٠٤) بنك البركة - بيروت

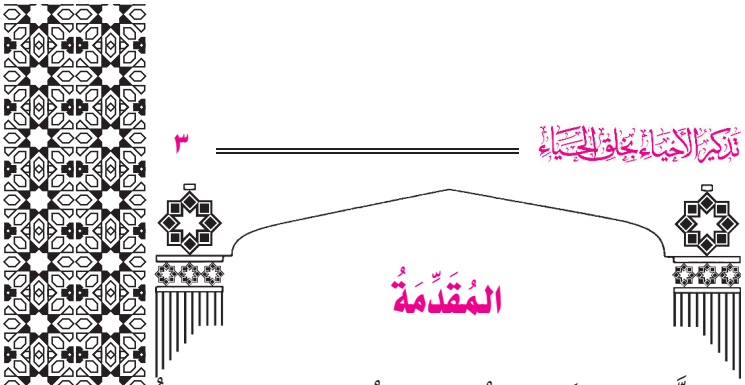

المُقَدِّمَةُ

إِنَّ الحَمدَ لِلَّهِ نَحمَدُهُ وَنَستَعِينُهُ وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ خَيرَ الكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا؛ وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

إِنَّ العَينَ لَتَدمَعُ، وَإِنَّ القَلبَ لَيَحزَنُ، عَلَى قِلَّةِ الحَيَاءِ المُنتَشِرِ بَينَ العِبَادِ، فِي أَنحَاءِ البِلَادِ.

الحَيَاءُ خُلُقٌ رَفِيعٌ يَمنَعُ الإِنسَانَ عَنِ الِاتِّصَافِ

بِالأَخلَاقِ السَّيِّئَةِ، وَالأَقوَالِ وَالأَفعَالِ القَبِيحَةِ.

الحَيَاءُ هُوَ أَسَاسُ مَكَارِمِ الأَخلَاقِ، وَمَنبَعُ كُلِّ فَضِيلَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَترَتَّبُ عَلَيهِ القَولُ الطَّيِّبُ، وَالفِعلُ الحَسَنُ.

الحَيَاءُ دَلِيلُ الدِّينِ الصَّحِيحِ، وَسِمَةُ الصَّلَاحِ الشَّامِلِ، وَعُنوَانُ الفَلَاحِ الكَامِلِ.

يَأتِي الحَدِيثُ عَنِ الدُّرَّةِ النَّفِيسَةِ «الحَيَاءِ»، فِي وَقتٍ تُنحَرُ فِيهِ الفَضِيلَةُ، وَتُذبَحُ فِيهِ الأَخلَاقُ مِنَ الوَرِيدِ إِلَى الوَرِيدِ، عَبرَ أَجهِزَةِ الفَسَادِ السَّمعِيَّةِ مِنهَا وَالبَصَرِيَّةِ، الَّتِي تَنسِفُ الحَيَاءَ نَسفًا، وَتُدَمِّرُهُ تَدمِيرًا، فَلَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ.

الرَّاجِي عَفوَ رَبِّهِ
عَبدُ الهَادِي بنُ حَسَنٍ وَهبِي (١)

(١) موقع الإنترنت: www.asseraj.net.
البريد الإلكتروني: ahwehbi@hotmail.com.

تَعرِيفُ الحَيَاءِ

الحَيَاءُ: خُلُقٌ يَكُفُّ العَبدَ عَنِ ارتِكَابِ القَبَائِحِ، وَيَحُثُّهُ عَلَى فِعلِ الجَمِيلِ، وَيَمنَعُهُ مِنَ التَّقصِيرِ فِي حَقِّ صَاحِبِ الحَقِّ، وَهُوَ مِن أَعلَى مَوَاهِبِ اللهِ لِلعَبدِ.

فَضَائِلُ الحَيَاءِ

أَوَّلًا: الحَيَاءُ مِفتَاحُ كُلِّ خَيرٍ:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**» قَالَ: أَوْ قَالَ: «**الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ**»(١).

وَهُوَ أَصلُ كُلِّ خَيرٍ، وَذَهَابُهُ ذَهَابُ الخَيرِ أَجمَعِهِ.

(١) رواه مسلم [٦١- (٣٧)].

«لِأَنَّهُ بَاعِثٌ عَلَى أَفْعَالِ الخَيْرِ وَمَانِعٌ مِنَ المَعَاصِي، وَيَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَالقَبَائِحِ، وَيَمْنَعُهُ مِمَّا يُعَابُ بِهِ وَيُذَمُّ، فَإِذَا كَانَ هَذَا أَثَرَهُ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ خُلُقٌ مَحْمُودٌ، لَا يُنْتِجُ إِلَّا خَيْرًا، فَالَّذِي يَهُمُّ بِفِعْلِ فَاحِشَةٍ فَيَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنَ ارْتِكَابِهَا، أَوْ يَعْتَدِي عَلَيْهِ سَفِيهٌ بِسَبٍّ وَشَتم، فَيَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنْ مُقَابَلَةِ السَّيِّئَةِ بِالسَّيِّئَةِ، أَوْ يَسْأَلُهُ سَائِلٌ فَيَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنْ حِرْمَانِهِ، أَوْ يَضُمُّهُ مَجْلِسٌ فَيُمْسِكُ الحَيَاءُ بِلِسَانِهِ عَنِ الكَلَامِ المُحَرَّمِ، كَالغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَالخَوْضِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ؛ فَالَّذِي يَكُونُ لِلْحَيَاءِ فِي نَفْسِهِ هَذِهِ الآثَارُ الْحَسَنَةُ، فَهُوَ ذُو خُلُقٍ مَحْمُودٍ»[(١)].

وَلِهَذَا كَانَ الحَيَاءُ خَيرًا كُلُّهُ، بَل هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ.

عَنْ قُرَّةَ -ابنِ إِيَاسٍ رضي الله عنه- قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَذُكِرَ عِنْدَهُ الحَيَاءُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، الحَيَاءُ مِنَ

(١) «الموسوعة الفقهية» (١٨/ ٢٦١)، بتصرُّف وزيادة.

الدِّينِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَل هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ**»(١).

لِعُلُوِّ مَنزِلَتِهِ، وَجَلِيلِ قَدْرِهِ، وَسُمُوِّ مَحَلِّهِ، وَرِفعَةِ شَأنِهِ، وَعَظِيمِ نَفعِهِ.

ثانيًا: الحَيَاءُ إِيمَانٌ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الحَيَاءُ وَالإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ**»(٢).

الحَيَاءُ وَالإِيمَانُ مَقرُونَانِ لَا يَفتَرِقَانِ إِلَّا جَمِيعًا؛ لِاستِوَائِهِمَا فِي الحَثِّ عَلَى كَثِيرٍ مِن أَعمَالِ البِرِّ وَالخَيرِ، وَالزَّجرِ عَن كُلِّ شَرٍّ وَقَبِيحٍ مِنَ الفُحشِ وَالفَوَاحِشِ، وَالكَذِبِ وَالفُجُورِ وَالآثَامِ. فَإِذَا رُفِعَ

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ١٩/ رقم (٦٣)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٣٠).

(٢) رواه الحاكم (١/ ٢٢ رقم ٥٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٣٦).

أَحَدُهُمَا مِنَ الْمَرْءِ رُفِعَ مِنْهُ الْآخَرُ. وَهَذَا مُشعِرٌ بِعَظَمَةِ الحَيَاءِ، وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»(١).

يَعْنِي: شُعْبَةً عَظِيْمَةً وَمُهِمَّةً مِنَ الإِيْمَانِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: التَّنْبِيْهُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِ بَقِيَّةِ الشُّعَبِ(٢).

وَإِنَّمَا خَصَّهُ هُنَا بِالذِّكْرِ، «لِأَنَّهُ يَمْنَعُ مِثْلَ الإِيْمَانِ مِنَ ارْتِكَابِ مَا لَا يَحِلُّ، وَمَا يُعَدُّ مِنَ الفُحْشِ وَالفَوَاحِشِ»(٣).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) «منة المنعم في شرح صحيح مسلم» (١/ ٧٨)، لصفي الرحمن المباركفوري رحمه الله.

(٣) «الاستذكار» (٨/ ٢٨٢)، لابن عبد البر رحمه الله [طبعة دار الكتب العلمية - بيروت].

عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ**»(١).

ثالثًا: الحَيَاءُ أَبهَى زِينَةٍ:

إِنَّ الوَجْهَ المَصُوْنَ بِالحَيَاءِ، كَالجَوْهَرِ المَكْنُوْنِ فِي الوِعَاءِ، وَكَاللَّآلِئِ فِي البِحَارِ، وَكَاللُّبَابِ فِي الثِّمَارِ، وَلَنْ يَتَزَيَّنَ إِنْسَانٌ بِزِيْنَةٍ، هِيَ أَبْهَى وَلَا أَجْمَلُ مِنَ الحَيَاءِ.

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(٢).

فَلَا يَكُونُ فِي شَيءٍ مِنَ الأَقوَالِ وَالأَفعَالِ، إِلَّا زَيَّنَهُ وَجَمَّلَهُ وَحَسَّنَهُ؛ وَلَا يُنزَعُ مِن شَيءٍ، إِلَّا شَانَهُ

---

(١) رواه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٠١)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٤٧٠).

وَعَابَهُ وَقَبَّحَهُ، وَجَرَّ إِلَيهِ العَيْبَ وَالقُبْحَ.

الحَيَاءُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ. وَالفُحشُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ.

رَابِعًا: الحَيَاءُ خُلُقٌ يُحِبُّهُ اللهُ تَعَالَى:

عَن أَشَجِّ عَبدِ القَيسِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ [لِي] النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَينِ يُحِبُّهُمَا اللهُ**» قُلتُ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الحِلمُ وَالحَيَاءُ**» ...[١].

وَعَن يَعلَى بنِ أُمَيَّةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغتَسِلُ بِالبَرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعِدَ المِنبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثنَى عَلَيهِ؛ ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عز وجل حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحَيَاءَ وَالسَّترَ، فَإِذَا اغتَسَلَ أَحَدُكُم فَليَستَتِر**»[٢].

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٨٤)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الأدب المفرد» (٤٥٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٠١٢)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤٩٧).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عز وجل... يُحِبُّ الْحَيِيَّ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ**»(١).

خامسًا: الحَيَاءُ يَقُودُ إِلَى الجَنَّةِ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الجَنَّةِ؛ وَالبَذَاءُ مِنَ الجَفَاءِ، وَالجَفَاءُ فِي النَّارِ**»(٢).

* «**الإِيمَانُ فِي الجَنَّةِ**»: هُوَ أَهلُ الإِيمَانِ فِي الجَنَّةِ. وَمَعنَى البَذَاءِ فِي النَّارِ: هُوَ أَهلُ البَذَاءِ فِي النَّارِ.

* «**البَذَاءُ**»: الفُحْشُ فِي القَوْلِ، وَالسُّوءُ فِي الخُلُقِ. وَالكَلَامُ البَذِيءُ: الكَلَامُ القَبِيحُ.

* «**مِنَ الجَفَاءِ**»: أَي أَهلُهُ التَّارِكُونَ لِلوَفَاءِ،

---

(١) رواه البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» (٥٧٩١)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٣٢٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٩)، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٢٨): «حسن صحيح».

الثَّابِتُونَ عَلَى غَلَاظَةِ الطَّبعِ وَقَسَاوَةِ القَلْبِ. وَهَذَا يُوْرِثُ تَرْكَ الصِّلَةِ وَالبِرِّ.

سَادِسًا: الحَيَاءُ خُلُقُ الإِسلَامِ:

الحَيَاءُ هُوَ مِن أَفضَلِ الأَخلَاقِ وَأَجَلِّهَا، وَأَعظَمِهَا قَدرًا، وَأَكثَرِهَا نَفعًا(١).

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»(٢).

وَمَعنَاهُ: أَنَّ كُلَّ دِينٍ لَهُ طَبعٌ وَسَجِيَّةٌ؛ وَإِنَّ طَبعَ هَذَا الدِّينِ، وَسَجِيَّتَهُ الَّتِي بِهَا قِوَامُهُ: الحَيَاءُ(٣).

وَذَلِكَ أَنَّ حَقِيقَةَ الإِسلَامِ حُسنُ الخُلُقِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٣٧)، بتصرُّف يسير.

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٨١)، وصححه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٣٣).

(٣) «شرح كتاب الشهاب» (ص٢٢١)، لابن بدران رحمه الله.

«أَكمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا»[١].

إِذًا فَالحَيَاءُ تَركُ القَبَائِحِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَإِتيَانُ المَحَاسِنِ وَالخَيرَاتِ، وَهَذَا خُلُقُ الإِيمَانِ[٢].

«وَلَولَا هَذَا الخُلُقُ لَم يُكرَمْ ضَيفٌ، وَلَم يُوفَ بِوَعدٍ، وَلَم تُؤَدَّ أَمَانَةٌ، وَلَم تُقْضَ حَاجَةٌ، وَلَم تُصَل رَحِمٌ؛ وَلَا بُرَّ وَالِدٌ، وَلَا رُحِمَ صَغِيرٌ، وَلَا وُقِّرَ كَبِيرٌ؛ وَلَا تَحَرَّى الرَّجُلُ الجَمِيلَ فَآثَرَهُ، وَالقَبِيحَ فَتَجَنَّبَهُ، وَلَا سَتَرَ لَهُ عَورَةً، وَلَا امتَنَعَ مِن فَاحِشَةٍ»[٣].

سابعًا: الحَيَاءُ شَرِيعَةُ جَمِيعِ الأَنبِيَاءِ عليهم السلام:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٨٢)، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٦٠): «حسن صحيح».

(٢) «بحر الفوائد» المشهور بـ «معاني الأخبار» (١/ ٣٠٦ - ٣٠٧)، للكَلاباذِيِّ رحمه الله.

(٣) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٣٧)، بتصرُّف وزيادة.

«إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»(١).

رَفَعَ النَّبِيُّ عليه السلام قَدرَ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَأَجَلَّهَا، وَعَظَّمَ شَأنَهَا(٢)؛ لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِخَيرِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ(٣).

فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ الحَيَاءَ لَمْ يَزَل مُسْتَحْسَنًا فِيْ شَرَائِعِ الأَنْبِيَاءِ الأَوَّلِيْنَ، وَأَنَّهُ لَمْ يُرْفَعْ وَلَمْ يُنْسَخْ فِيْ جُمْلَةِ مَا نَسَخَ اللهُ مِنْ شَرَائِعِهِ، بَل تَدَاوَلَهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ، وَتَوَارَثُوهُ عَنْهُمْ، وَتَوَاصَوْا بِهِ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ.

ثامنًا: الحَيَاءُ مَانِعٌ مِن فِعلِ المَعَاصِي:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ

(١) رواه البخاري (٦١٢٠). (٢) «بحر الفوائد» (١/ ٤٢٦).
(٣) المصدر السابق.

تَسْتَحْيِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[١].

وَالمَعْنَى: أَنَّ الرَّادِعَ عَنِ القَبِيحِ إِنَّمَا هُوَ الحَيَاءُ، وبِغِيَابِ الحَيَاءِ: تَتَدَمَّرُ الأَخْلَاقُ، وَتُرْتَكَبُ الفَوَاحِشُ وَالمُوبِقَاتُ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَحِ فَإِنَّهُ يَصْنَعُ مَا شَاءَ.

فَالحَيَاءُ هُوَ الحَائِلُ بَيْنَ الإِقْدَامِ عَلَى المَعْصِيَةِ وَالإِمْسَاكِ عَنْهَا، وَأَنَّهُ كَالسَّدِّ إِذَا تَحَطَّمَ انْهَمَرَ المَاءُ يُغْرِقُ كُلَّ شَيْءٍ؛ فَالَّذِي لَا حَيَاءَ لَهُ لَا سَدَّ عِنْدَهُ، فَهَذَا لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِنَ الإِقْدَامِ عَلَى المَعْصِيَةِ لِيَفْعَلَهَا، وَلَا يَرَى بِهَا بَأْسًا.

لِذَلِكَ تَرَاهُ يَرضَى بِتَبَرُّجِ زَوجَتِهِ وَابنَتِهِ وَأُختِهِ، وَمُخَالَطَتِهِنَّ لِلرِّجَالِ، وَدُخُولِهِنَّ عَلَيهِم، وَدُخُولِهِم عَلَيهِنَّ؛ حَتَّى عَظُمَ الشَّرُّ، وَعَظُمَ البَلَاءُ.

قَالَ القَائِلُ:

---

(١) رواه البخاري (٦١٢٠).

وَرُبَّ قَبِيْحَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي
وَبَيْنَ رُكُوْبِهَا إِلَّا الحَيَاءُ
فَكَانَ هُوَ الدَّوَاءَ لَهَا وَلَكِنْ
إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ فَلَا دَوَاءُ[١]

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي
وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ
فَلَا وَاللَّهِ مَا فِيْ العَيْشِ خَيْرٌ
وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ
يَعِيْشُ المَرْءُ مَا اسْتَحْيَى بِخَيْرٍ
وَيَبْقَى العُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ[٢]

يَبْقَى العُودُ غَضًّا طَرِيًّا مَا بَقِيَتِ القِشْرَةُ الخَضْرَاءُ، فَإِنْ سَقَطَتْ فَقَد آذَنَتْ حَيَاتُهُ بِالضُّمُورِ.

---

(١) «روضة العقلاء» (ص٥٨)، لابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) «روضة العقلاء» (ص٥٧).

وَهَكَذَا النَّاسُ يَعِيْشُوْنَ فِي حَيَاةٍ وَسَعَادَةٍ، مَا دَامَ فِيْهِمْ خُلُقُ الحَيَاءِ؛ وَإِذَا فَقَدُوهُ فَقَدْ هَلَكُوْا، فَلَيْسَ فِيْهِمْ وَلَا فِي حَيَاتِهِمْ خَيْرٌ. فَلَا حَيَاةَ بِلَا حَيَاءٍ.

كَيفَ يَكُونُ الحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟

عَن عَبْدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**استَحيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ**» قَالَ: قُلنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَستَحْيِي وَالحَمدُ لِلَّهِ؛ قَالَ: «**لَيسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاستِحيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ: أَن تَحفَظَ الرَّأسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطنَ وَمَا حَوَى، وَلتَذكُرِ المَوتَ وَالبِلَى؛ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ، تَرَكَ زِينَةَ الدُّنيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدِ استَحيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ**»[1].

نَعَمْ! هَذَا هُوَ الِاستِحيَاءُ الحَقِيقِيُّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٨)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٢٤).

نَبِيُّ الإِسْلَامِ ﷺ: وَهُوَ أَنْ يَحْفَظَ الإِنْسَانُ حَوَاسَّهُ، يَحْفَظُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَلِسَانَهُ، فَلَا يَسْمَعُ إِلَى فُحْشٍ، وَغِنَاءٍ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مُحَرَّمٍ أَوْ شَهْوَةٍ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِقَبِيْحٍ أَوْ مُنْكَرٍ؛ وَكَذَلِكَ يَحْفَظُ بَطْنَهُ فَلَا يُدْخِلُ إِلَيْهِ حَرَامًا، وَيَحْفَظُ فَرْجَهُ فَلَا يَرْتَكِبُ فَاحِشَةً. وَيَذْكُرُ المَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ، فَيَسْتَعِدُّ لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ، فَآثَرَ مَا يَبقَى عَلَى مَا يَفنَى، فَآثَرَ الآخِرَةَ عَلَى الدُّنيَا. وَهَكَذَا يَكُونُ قَدْ تَحَقَّقَ بِمَعْنَى الاِستِحيَاءِ؛ الَّذِي هُوَ مُبَالَغَةٌ فِي الحَيَاءِ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي؟ قَالَ: «**أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ اللهَ ﷻ، كَمَا تَسْتَحِي رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ**»(١).

يَا لَهَا مِن وَصِيَّةٍ: مَا أَجَلَّهَا وَأَعْلَاهَا! لِمَن وُفِّقَ

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٥٩)، وجوَّد إسنادَه الألبانيُّ رحمه الله في «الصحيحة» (٧٤١).

لِلعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا.

فَمِنْ وَقَارِ اللهِ: أَنْ يَسْتَحِيَ العَبْدُ مِنَ اللهِ تَعَالَى «فِي الخَلوَةِ، أَعظَمَ مِمَّا يَستَحِي مِنْ أَكَابِرِ النَّاسِ»[(١)].

وَاعلَم أَنَّ اللهَ تَعَالَى نَاظِرٌ إِلَيكَ، مُطَّلِعٌ عَلَيكَ، فَقُل لِنَفسِكَ: لَو كَانَ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِي قَومِي يَرَانِي، لَاستَحَيْتُ مِنْهُ، فَكَيفَ لَا أَستَحِي مِن رَبِّي ﷻ، ثُمَّ لَا آمَنُ تَعجِيلَ عُقُوبَتِهِ وَكَشفَ سَترِهِ؟![(٢)]

فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ يَرَاهُ حَيثُ كَانَ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، وَاستَحضَرَ ذَلِكَ فِي خَلَوَاتِهِ، أَوجَبَ لَهُ ذَلِكَ تَركَ المَعَاصِي فِي السِّرِّ.

قَالَ القَحطَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِذَا خَلَوتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلمَةٍ
وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغيَانِ

---

(١) «فوائد الفوائد» (ص٧٥).
(٢) «وصية الإمام ابن قدامة المقدسي» (ص٣١).

فَاستَحْيِ مِن نَظرِ الإِلَهِ وَقُل لَهَا
إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي[(١)]

وَعَن مُعَاوِيَةَ بنِ حَيدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَورَاتُنَا مَا نَأتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: «**احفَظْ عَورَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوجَتِكَ، أَو مَا مَلَكَت يَمِينُكَ**» قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا كَانَ القَومُ بَعضُهُم فِي بَعضٍ؟ قَالَ: «**إِنِ استَطَعتَ أَن لَا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ، فَلَا يَرَيَنَّهَا**» قَالَ: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: «**اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُستَحيَى مِنْهُ مِنَ النَّاسِ**»[(٢)].

فَقَد أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الرَّجُلَ: أَن يَستُرَ عَورَتَهُ، وَإِن كَانَ خَالِيًا لَا يَرَاهُ أَحَدٌ، تَأَدُّبًا مَعَ اللهِ تعالى وَاستِحيَاءً

---

(١) «نونية القحطاني» (ص٩٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٠١٧)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٤٩٩).

مِنهُ؛ فَكَيفَ يَنبَغِي أَن يَكُونَ حَيَاءُ الإِنسَانِ مِنهُ تَعَالَى، إِذَا رَآهُ حَيثُ نَهَاهُ؟!

«فَمَتَى كَمُلَ حَيَاءُ الإِنْسَانِ [مِنَ اللهِ تَعَالَى]، فَقَدْ كَمُلَتْ فِيهِ أَسْبَابُ الخَيْرِ، وَانْتَفَتْ عَنْهُ أَسْبَابُ الشَّرِّ؛ وَصَارَ بِالفَضْلِ مَشْهُورًا، وَبِالجَمِيلِ مَذْكُورًا»[1].

فَسَلِمَتْ أَفْعَالُهُ، وَتَهَذَّبَتْ أَخْلَاقُهُ، وَطَهُرَ سِرُّهُ، وَظَهَرَ بِرُّهُ، وَقَلَّ شَرُّهُ، وَكَثُرَ خَيْرُهُ.

خَلوَةُ الَّذِينَ لَا يَستَحيُونَ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

لَمَّا غَابَ الحَيَاءُ مِنَ اللهِ عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ، تَجَرَّؤُوا عَلَى مَحَارِمِ اللهِ.

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ**

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص٢٤٤)، لأبي الحسن الماوَردِيِّ رَحِمَهُ اللهُ [بتصرُّف يسير وزيادة].

جِبَالِ تِهَامَةَ، بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا».

قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُم لَنَا، جَلِّهِم لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُم وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؛ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُم إِخْوَانُكُم وَمِنْ جِلدَتِكُم، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُم أَقْوَامٌ، إِذَا خَلَوا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا»[1].

فَهَؤُلَاءِ قَامُوا بِأَعمَالٍ ظَاهِرَةٍ، وَاعتَنَوا بِالمَظَاهِرِ، وَجَعَلُوهَا زَاهِيَةً؛ وَأَهمَلُوا سَرَائِرَهُم، وَبَوَاطِنَهُم، وَجَعَلُوهَا خَاوِيَةً، فَلَم يُرَاقِبُوا اللهَ فِي خَلَوَاتِهِم.

هَـؤُلَاءِ يَنطَبِقُ عَلَيهِم قَولُ يَحْيَى بنِ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ رَحِمَهُ اللهُ:

أَظهَرَ بَينَ الخَلقِ إِحسَانَهُ
وَخَالَفَ الرَّحمَنَ لَمَّا خَلَا[2]

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٤٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصحيحة» (٥٠٥).

(٢) أخرجه - ضمن قصة -: ابن الجوزي في «كتاب القصَّاص =

«يَستَخِفُّ بِنَظَرِ اللهِ إِلَيهِ وَاطِّلَاعِهِ عَلَيهِ: وَهُوَ فِي قَبضَتِهِ، وَنَاصِيَتُهُ بِيَدِهِ، وَيُعَظِّمُ نَظَرَ المَخلُوقِ إِلَيهِ، وَاطِّلَاعَهُ عَلَيهِ بِكُلِّ قَلبِهِ وَجَوارِحِهِ؛ يَستَحيِي مِنَ النَّاسِ وَلَا يَستَحيِي مِنَ اللهِ، وَيُعَامِلُ الخَلقَ بِأَفضَلَ مَا يَقدِرُ عَلَيهِ، وَإِن عَامَلَ اللهَ عَامَلَهُ بِأَهوَنَ مَا عِنْدَهُ وَأَحقَرَهُ؛ وَإِن قَامَ فِي خِدمَةِ مَن يُحِبُّهُ مِنَ البَشَرِ، قَامَ بِالجِدِّ وَالِاجتِهَادِ وَبَذلِ النَّصِيحَةِ، وَقَدْ فَرَّغَ لَهُ قَلبَهُ وَجَوَارِحَهُ، وَقدَّمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِن مَصَالِحِهِ»(١).

«أَفَلَا يَستَحِي العَبدُ مِن رَبِّهِ وَمَولَاهُ وَمَعبُودِهِ أَن لَا يَكُونَ فِي عَمَلِهِ هَكَذَا؟! وَهُوَ يَرَى المُحِبِّينَ فِي أَشغَالِ مَحبُوبِيهِم مِنَ الخَلقِ كَيفَ يَجتَهِدُونَ فِي

= والمذكِّرين» (رقم: ١٩٣). وأورده الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ص ٣٧٥) (حوادث ووَفَيات: ٢٥١ - ٢٦٠هـ)، وابن رجب في «لطائف المعارف» (ص ٥٣).

(١) «الداء والدواء» (ص٢١٧)، بتصرُّف يسير.

إِيقَاعِهَا عَلَى أَحسَنِ وَجهٍ وَأَكمَلِهِ، بَل هُوَ يَجِدُ مِن نَفسِهِ ذَلِكَ مَعَ مَن يُحِبُّهُ مِنَ الخَلقِ، فَلَا أَقَلَّ مِن أَن يَكُونَ مَعَ رَبِّهِ بِهَذِهِ المَنزِلَةِ»(١).

عَن أُسَامَةَ بنِ شَرِيكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا كَرِهَ اللهُ مِنكَ شَيئًا، فَلَا تَفعَلهُ إِذَا خَلَوتَ**»(٢).

أَفَلَم يَأنِ لِلَّذِينَ يَخلُونَ بِمَحَارِمِ اللهِ وَيَدخُلُونَ عَلَى المَوَاقِعِ الإِبَاحِيَّةِ، وَيُشَاهِدُونَ الأَفلَامَ الخَلِيعَةَ، أَن يَتُوبُوا إِلَى اللهِ: مِن قَبلِ أَن يَأتِيَ يَومٌ تُبلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَيُحَصَّلَ فِيهِ مَا فِي الصُّدُورِ. يَومَ يَدُومُ فِيهِ النَّدَمُ، لِمَن زَلَّت بِهِ القَدَمُ، قَبلَ أَنْ يَقُولَ المُذنِبُ: رَبِّ ارجِعُونِ. فَيُقَالَ لَهُ: هَيهَاتَ، فَاتَ مَا فَاتَ، وَكَانَ مَا كَانَ، وَأَتَى مَا

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٩٨٣).

(٢) رواه ابن حبان (٤٠٣)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح موارد الظمآن» (٢١١٦).

هُوَ آتٍ، وَقَد بَعُدَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ المَسَافَاتُ.

قَـالَ ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون].

يَا مَن يُشَاهِدُ المَحَطَّاتِ المَاجِنَةَ، وَيَسمَعُ الأَصْوَاتَ الفَاجِرَةَ؛ الَّتِي تَعْمَلُ فِي القُلُوبِ، أَعْظَمَ مِنَ السُّمِّ فِي الأَبْدَانِ؛ اعلَمْ بِأَنَّ «مَنِ استَحيَى مِنَ اللهِ عِندَ مَعْصِيَتِهِ، اسْتَحيَى اللهُ مِن عُقُوبَتِهِ يَوْمَ يَلقَاهُ؛ وَمَن لَم يَستَحِ مِن مَعْصِيَتِهِ، لَمْ يَسْتَحِ مِن عُقُوبَتِهِ»[1].

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

يَا مُدمِنَ الذَّنبِ أَمَا تَستَحِي
وَاللَّهُ فِي الخَلوَةِ ثَانِيكَا

(١) «الداء والدواء» (ص١١١).

غَـــرَّكَ مِـــن ربِّـــكَ إِمـهَـالُـــهُ
وَسَـــتـــرُهُ طُـــولَ مَـسَـاوِيـكَـا

نَمَاذِجُ مُشرِقَةٌ مِنَ الحَيَاءِ

١- **أُمُّ سَلَمَةَ** رضي الله عنها: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: «**يُرْخِينَ شِبْرًا**» فَقَالَتْ: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ! قَالَ: «**فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا، لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ**»(١).

يَا سُبْحَانَ اللهِ! الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ لِأُمِّ سَلَمَةَ: «**يُرْخِينَ شِبْرًا**»، وَلَكِنَّهَا تَقُولُ: إِنَّ النِّسَاءَ لَا تُطِيْقُ هَذَا، لِأَنَّ أَقْدَامَهُنَّ سَتَنْكَشِفُ عِنْدَ المَشْيِ، فَلَمْ تَرْضَ

(١) رواه الترمذي (١٧٣١)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٧١).

أَنْ يُرْخَى الثَّوْبُ شِبْرًا يُجَرْجِرُ فِي الأَرْضِ؛ وَلَكِنَّ فَتَيَاتِ هَذَا الزَّمَانِ رَضِيْنَ بِهَذَا الشِّبْرِ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ شِبْرًا يُجَرْجِرُ فِيْ الأَرْضِ، لَكِنَّهُ شِبْرٌ فَوْقَ الرُّكْبَتَيْنِ.

الْمَرْأَةُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْحَيَاءِ، فَإِذَا فَقَدَتِ الْمَرْأَةُ حَيَاءَهَا؛ فَقَدَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَفَعَلَتْ كُلَّ شَيْءٍ. وَبَطنُ الأَرضِ خَيرٌ لَهَا مِن ظَهرِهَا.

٢- **المَرْأَةُ السَّوداءُ** رضي الله عنها: عَنْ عَطَاءَ بنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَلَا أُرِيْكَ امرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوداءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ - الصَّرْعُ: عِلَّةٌ فِي الجِهَازِ العَصَبِيِّ تَصحَبُهَا غَيبُوبَةٌ وَتَشَنُّجٌ فِي العَضَلَاتِ، وَقَد تَكُونُ بِدُخُولِ الجِنِّيِّ فِي بَدَنِ المَصرُوعِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ

مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥] -، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ - أَي: خَشِيَتْ أَن تَظهَرَ عَورَتُهَا وَهِيَ لَا تَشعُرُ -، فَادْعُ اللهَ لِي - أَي: بِالعَافِيَةِ مِن هَذَينِ الأَمرَينِ -؛ قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا[1].

حَرَصَتْ عَلَى عَدَمِ التَّكَشُّفِ وَسَترِ العَورَةِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ المَفَاسِدِ مَا لَا يَخفَى.

فَهَذِهِ المَرْأَةُ سَوْدَاءُ، لَكِنْ قَلبُهَا أَبْيَضُ. قَدْ تَصْبِرُ عَلَى المَرَضِ، وَلَكِنَّهَا لَا تَستَطِيعُ الصَّبْرَ عَلَى خَدْشِ الحَيَاءِ، وَجَرْحِ العَفَافِ؛ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِرَادَتِهَا.

أَلَمْ يَأْنِ لِلنِّسْوَةِ فِي هَذَا الزَّمَنِ العَصِيبِ: أَنْ يَقْتَدِيْنَ

(١) رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

بِهَذِهِ المَرْأَةِ، وَيَتَرَبَّيْنَ عَلَى العَفَافِ وَالحَيَاءِ؟!
وَلَكِن خَلَعنَ ثِيَابَ العِفَّةِ، وَلَبَسنَ طَوقًا مِنَ الخِسَّةِ.

مَظَاهِرُ قِلَّةِ الحَيَاءِ

كَثرَةُ خُرُوجِ المَرأَةِ مِنَ البَيتِ:

عَنِ ابنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ المَرْأَةَ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ؛ وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا، وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا**»(١).

قَولُهُ ﷺ: «**فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»؛ أَيْ: زَيَّنَهَا فِي نَظَرِ الرِّجَالِ، لِيُغْوِيَهَا وَيُغْوِيَ بِهَا(٢).

خُرُوجُ المَرأَةِ مُتَعَطِّرَةً:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ وَجَدَ مِنْهَا

(١) رواه الترمذي (١١٧٣)، وابن خزيمة (١٦٨٥) - واللفظ لـه -. وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٤٦).
(٢) «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» (٤/ ٢٨٣)، لأبي العُلا المباركفوري رحمه الله.

رِيحَ الطِّيْبِ يَنْفَحُ، وَلِذَيْلِهَا إِعْصَارٌ - أَي: رِيحٌ تَرْتَفِعُ بِتُرَابٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَتَسْتَدِيرُ كَأَنَّهَا عَمُودٌ -، فَقَالَ: يَا أَمَةَ الجَبَّارِ - نَادَاهَا بِهَذَا الِاسْمِ تَخْوِيفًا لَهَا -، جِئْتِ مِنَ المَسْجِدِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: وَلَهُ تَطَيَّبْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ؛ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ حِبِّي - أَيْ: مَحْبُوبِي - أَبَا القَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ لِامْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ لِهَذَا المَسْجِدِ، حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ غُسْلَهَا مِنَ الجَنَابَةِ**»(١) - أَي: كَغُسْلِهَا مِنَ الجَنَابَةِ(٢) -.

هَذَا حُكْمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَن خَرَجَت إِلَى المَسجِدِ مُتَعَطِّرَةً. فَمَاذَا يَكُونُ حُكمُهُ فِيمَن تَخرُجُ إِلَى عُرسٍ وَنَحوِهِ مُتَعَطِّرَةً؟! فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ.

---

(١) رواه أبو داود (٤١٧٤)، وحسنه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٤٥٢).

(٢) انظر: «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١١/ ١٥٤)، لأبي الطيِّب العظيم آبادي رَحِمَهُ اللهُ.

وَعَنِ الأَشْعَرِيِّ (يَعنِي: أَبَا مُوسَى رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا، فَهِيَ زَانِيَةٌ**»(١).

مَشيُ المَرأَةِ فِي وَسَطِ الطَّرِيقِ:

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ - وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ المَسْجِدِ، فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ -: «**اسْتَأْخِرْنَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ، عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ**». قَالَ: فَكَانَتِ المَرْأَةُ تَلتَصِقُ بِالجِدَارِ، حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ(٢).

---

(١) رواه النسائي (٥١٤١)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٤٥١).

(٢) رواه أبو داود (٥٢٧٢)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٨٥٦).

سُبْحَانَ اللهِ! بَادَرْنَ إِلَى تَنْفِيذِ أَمرِ النَّبِيِّ ﷺ، بَلْ بَالَغْنَ فِي ذَلِكَ.

فَهَل يَعِي هَذَا الكَلَامَ النِّسَاءُ فِي هَذَا الزَّمَانِ؟!

وَضعُ المَرأَةِ ثِيَابَهَا فِي غَيرِ بَيتِ زَوجِهَا:

عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها قَالَتْ: خَرَجْتُ مِنَ الحَمَّامِ، فَلَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مِنْ أَيْنَ يَا أُمَّ الدَّرْدَاءِ؟**» قَالَتْ: مِنَ الحَمَّامِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنَ امْرَأَةٍ تَضَعُ ثِيَابَهَا، فِي غَيْرِ بَيْتِ أَحَدٍ مِنْ أُمَّهَاتِهَا، إِلَّا وَهِيَ هَاتِكَةٌ كُلَّ سِتْرٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّحْمَنِ**»(١).

وَعَنْ أَبِي المَلِيحِ الهُذَلِيِّ: أَنَّ نِسَاءً مِنْ أَهْلِ حِمْصٍ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، دَخَلْنَ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَقَالَتْ: أَنْتُنَّ اللَّاتِي يَدْخُلْنَ نِسَاؤُكُنَّ الحَمَّامَاتِ؟! سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنَ امْرَأَةٍ تَضَعُ أَثْيَابَهَا فِي غَيْرِ**

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٦١ - ٣٦٢ رقم ٢٧٠٣٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٩).

بَيْتِ زَوْجِهَا، إِلَّا هَتَكَتِ السِّتْرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَبِّهَا»[١].

فَيَحرُمُ عَلَى المَرأَةِ أَن تَخلَعَ ثِيَابَهَا فِي غَيرِ بَيتِ زَوجِهَا: كَالمَسَابِحِ، وَصَالُونَاتِ التَّجمِيلِ، وَالأَندِيَةِ الرِّيَاضِيَّةِ.

التَّحَدُّثُ بِمَا يَجرِي مَعَ الزَّوجِ:

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ (أَي: رَسُولُ اللهِ ﷺ) عَلَى الرِّجَالِ، فَقَالَ: «هَلْ مِنْكُمُ الرَّجُلُ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ، فَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ سِتْرَهُ، وَاسْتَتَرَ بِسِتْرِ اللهِ؟!» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ثُمَّ يَجْلِسُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا، فَعَلْتُ كَذَا؟!» قَالَ: فَسَكَتُوا؛ قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «هَلْ مِنْكُنَّ مَنْ تُحَدِّثُ؟!» فَسَكَتْنَ، فَجَثَتْ فَتَاةٌ كَعَابٌ عَلَى إِحْدَى رُكْبَتَيْهَا، وَتَطَاوَلَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ

(١) رواه الترمذي (٢٨٠٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٠).

لِيَرَاهَا وَيَسْمَعَ كَلَامَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَتَحَدَّثُونَ، وَإِنَّهُنَّ لَيَتَحَدَّثْنَهُ؛ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا مَثَلُ ذَلِكَ؟**» فَقَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانَةٍ، لَقِيَتْ شَيْطَانًا فِي السِّكَّةِ، فَقَضَى مِنْهَا حَاجَتَهُ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْه**»[(١)].

بَذَاءَةُ اللِّسَانِ وَفُحشُ القَولِ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ - ابنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ؛ وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيءِ**»[(٢)].

وَعَن أَبِي الدَّردَاءِ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَيُبغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ**»[(٣)].

---

(١) قطعة من حديث: رواه أبو داود (٢١٧٤)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٠٢٤).

(٢) رواه الترمذي (١٩٧٧)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٣٢٠).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٠٢)، وصححه الألباني رحمه الله في =

وَكُلُّ خَصلَةٍ قَبِيحَةٍ فَهِيَ فَاحِشَةٌ؛ مِنَ الأَقوَالِ وَالأَفعَالِ.

وَالبَذِيُّ: هُوَ الفَاحِشُ فِي قَولِهِ، وَبَذَا الرَّجُلُ: إِذَا سَاءَ خُلُقُهُ، وَالبَذَاءُ: الكَلَامُ القَبِيحُ.

خُرُوجُ النِّسَاءِ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ... نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ... العَنُوهُنَّ، فَإِنَّهُنَّ مَلعُونَاتٌ...**»[1].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ**

= «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٤١).

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٢٣ رقم ٧٠٨٣) [ترقيم الرسالة]، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٠٤٣).

عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»[(١)].

يَا سُبحَانَ اللهِ العَظِيمِ! أَينَ عُقُولُ هَؤُلَاءِ؟ أَعُمِّيَتْ أَبصَارُهُنَّ وَبَصَائِرُهُنَّ؟!

فَهَؤُلَاءِ النِّسْوَةُ الفَاجِرَاتُ اللَّوَاتِي خَالَفْنَ تَعَالِيمَ الدِّيْنِ وَآدَابَ الإِسلَامِ، فَخَلَعْنَ مَلَابِسَهُنَّ، وَكَشَفْنَ عَنْ سَوَاعِدِهِنَّ، وَلَبِسْنَ المَلَابِسَ الرَّقِيقَةَ الَّتِي لَا تَسْتُرُ جَسَدًا، وَلَا تُخْفِي عَوْرَةً؛ وَإِنَّمَا تَزِيْدُ فِي الفِتْنَةِ وَالإِغْرَاءِ، وَمَشَيْنَ مِشْيَةً، فِيْهَا لَفْتُ أَنْظَارِ الرِّجَالِ. «فَهُنَّ كَاسِيَاتٌ بِالإِسمِ، عَارِيَاتٌ فِي الحَقِيقَةِ»[(٢)].

يَنْطَبِقُ عَلَيْهِنَّ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**... وَشَرُّ نِسَائِكُمُ**

---

(١) رواه مسلم (٢١٢٨).

(٢) «التمهيد» (١٣ / ٢٠٤)، لابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ.

المُتبرِّجاتُ المُتَخيِّلاتُ، وَهُنَّ المُنافِقاتُ»[١].

وَلَقَدْ صَوَّرَ النَّبِيُّ ﷺ هَؤُلَاءِ النِّسْوَةَ، وَهُنَّ يَتَبَخْتَرْنَ فِي الشَّوَارِعِ وَالطُّرُقَاتِ، ويَتَسَكَّعْنَ فِي الأَسْوَاقِ وَالمُنْتَدَيَاتِ، صَوَّرَهُنَ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ**» أَيْ: أَنَّهُنَّ مَائِلَاتٌ فِي مِشْيَتِهِنَّ، مُمِيْلَاتٌ لِقُلُوْبِ الرِّجَالِ؛ ثُمَّ عَدَّدَ الرَّسُولُ الكَرِيمُ ﷺ مِنْ قَبَائِحِهِنَّ: بِأَنَّهُنَّ يُصَفِّفْنَ شُعُورَهُنَّ، حَتَّى يُصْبِحَ شَعْرُ الوَاحِدَةِ مِنْهُنَّ مِثْلَ سَنَامِ الجَمَلِ فِي الِارْتِفَاعِ، وَقَدْ وَضَعَتْ عَلَيْهِ أَنْوَاعَ الزِّيْنَةِ؛ وَصَبَغَتْهُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الأَصْبَاغِ المُغْرِيَةِ، وَكَدَّسَتْهُ فَوْقَ رَأْسِهَا كَأَنَّهُ شَاهِقٌ مِنَ الجَبَلِ، أَوْ سَدٌّ عَالٍ مِنْ سُدُوْدِ الصِّيْنِ.

وَقَدْ خَتَمَ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الحَدِيْثَ الشَّرِيفَ بِمَا

---

(١) قطعة من حديث: رواه البيهقي في «السنن» (٧/ ٨٢)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (١٨٤٩).

يَفْزَعُ لَهُ قَلبُ الإِنْسَانِ، فَقَالَ: «**لَا يَدْخُلنَ الجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا**».

وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنْ هَذَا العَذَابِ؟! أَنْ يُحْرَمَ الإِنسَانُ الجَنَّةَ وَنَعِيْمَهَا، وَأَلَّا يَجِدَ رِيحَهَا أَبَدًا، مَعَ أَنَّ رِيحَهَا يُوْجَدُ مِنْ مَسِيْرَةِ خَمْسِمِئَةِ عَامٍ؟!

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ مُجِيْبُ الدُّعَاءِ.

وَلتَتَأَمَّل كُلُّ مَنْ سَوَّلَتْ لَهَا نَفْسُهَا، وَأَمْلَى الشَّيْطَانُ لَهَا، بِخَلْعِ الحِجَابِ وَالحَيَاءِ، الحَدِيثَ التَّالِيَ:

عَنْ عَمْرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ... إِذْ قَالَ: «**انْظُرُوا! هَلْ تَرَوْنَ شَيْئًا؟**» فَقُلْنَا: نَرَى غِرْبَانًا فِيهَا غُرَابٌ أَعْصَمُ أَحْمَرُ المِنْقَارِ وَالرِّجْلَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَدخُلُ الجَنَّةَ مِنَ النِّسَاءِ، إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُنَّ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ**

فِي الغِرْبَانِ»[(١)].

الأَعْصَمُ: هُوَ أَحْمَرُ المِنْقَارِ وَالرِّجْلَيْنِ. وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ قِلَّةِ مَنْ يَدخُلُ الجَنَّةَ مِنَ النِّسَاءِ، لِأَنَّ هَذَا الوَصْفَ فِي الغِرْبَانِ عَزِيزٌ قَلِيلٌ.

صُوَرٌ مِنَ الحَيَاءِ المَذمُومِ

١- تَركُ الأَمرِ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ: أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ، أَوْ شَهِدَهُ، أَوْ سَمِعَهُ**»[(٢)].

كَأَنْ يَأْكُلَ وَالِدٌ بِشِمَالِهِ، فَيَسْتَحِيَ الوَلَدُ مِن نَهيِ أَبِيهِ عَنِ الأَكْلِ بِالشِّمَالِ حَيَاءً مِنْهُ.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٩٧ رقم ١٧٧٧٠)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٨٥٠).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٥٣ رقم ١١٤٩٨)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٦٨).

فَلَا يَنْبَغِيْ لَكَ أَنْ تَتْرُكَ الأَمْرَ بِالمَعْرُوْفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ، حَيَاءً مِنَ النَّاسِ.

٢- مُقَارَفَةُ الإِثْمِ اسْتِحيَاءً مِنَ النَّاسِ:

كَأَنْ تَمُدَّ امْرَأَةٌ أَجْنَبِيَّةٌ يَدَهَا إِلَى رَجُلٍ فَيُصَافِحَهَا، وَيَزْعُمَ أَنَّهُ اسْتَحْيَا مِنْهَا؛ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأَنْ يُطْعَنَ فِيْ رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيْدٍ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ**»(١).

فَمَن صَافَحَ امرَأَةً أَجنَبِيَّةً حَيَاءً مِنهَا، فَلْيَتَذَكَّرِ الحَدِيثَ التَّالِيَ:

عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ؛ وَمَنِ التَمَسَ رِضَى**

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ٢٠/ رقم (٤٨٦) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٩١٠): «حسن صحيح».

النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيهِ النَّاسَ»[(١)].

وَاعلَم أَنَّ اللهَ ﷻ إِذَا رَضِيَ عَنِ العَبدِ، أَرضَى النَّاسَ عَنهُ؛ وَإِذَا سَخِطَ عَنِ العَبدِ، أَسخَطَ النَّاسَ عَلَيهِ.

٣- تَركُ طَلَبِ العِلمِ:

قَالَ مُجَاهِدٌ رَحِمَهُ اللهُ: لَا يَتَعَلَّمُ العِلمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ[(٢)].

وَلِهَذَا: فَإِنَّ الصَّحَابِيَّاتِ رَضِيَ اللهُ عَنهُنَّ، لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الحَيَاءُ مِنْ طَلَبِ العِلمِ الشَّرْعِيِّ.

قَالَت عَائِشَةُ رضي الله عنها: نِعمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنصَارِ، لَم

(١) رواه ابن حبان (٢٧٦)، وصححه لغيره الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح موارد الظمآن» (١٢٨٢).

(٢) ذكره البخاري معلَّقًا مجزومًا به قبل الحديث (١٣٠). ووصله أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٨٧)، وإسناده صحيح على شرط البخاري - كما قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٢٢٩) [المكتبة السلفية]-.

يَكُن يَمنَعُهُنَّ الحَيَاءُ أَن يَتَفَقَّهنَ فِي الدِّينِ[١].

مِمَّ يَتَوَلَّدُ الحَيَاءُ؟

اعْلَمْ -بَارَكَ اللهُ فِيكَ- بِأَنَّ أَعظَمَ الحَيَاءِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، الَّذِي نَتَقَلَّبُ فِي نِعَمِهِ وَإِحسَانِهِ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ، وَلَا نَستَغنِي عَنْهُ طَرفَةَ عَينٍ؛ وَنَحنُ تَحتَ سَمعِهِ وَبَصَرِهِ، لَا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْ حَالِنَا وَقَولِنَا وَفِعلِنَا شَيءٌ. فَهُوَ الَّذِي خَلَقَنَا، وَهُوَ الَّذِي رَزَقَنَا، فَنَطْعَمُ مِنْ خَيرِهِ، وَنَتَنَفَّسُ فِي جَوِّهِ، وَنَعِيشُ عَلَى أَرضِهِ، وَنَستَظِلُّ بِسَمَائِهِ؛ وَآلَاؤُهُ غَمَرَتنَا مِنَ المَهْدِ إِلَى اللَّحدِ، وَإِلَى مَا بَعدَ ذَلِكَ مِن خُلُودٍ طَوِيلٍ فِي الجَنَّةِ -إِن شَاءَ اللهُ تَعَالَى-. فَكَيفَ لَا نَستَحِي مِنْهُ؟ وَكَيفَ نُقَابِلُ كُلَّ هَذِهِ النِّعَمِ بِالإِسَاءَةِ؟!

(١) ذكره البخاري معلَّقًا مجزومًا به قبل الحديث (١٣٠). ووصله مسلم [٦١- (٣٣٢)]، واللفظ له.

وَالعَجَبُ مِمَّن يَعلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا بِهِ مِنَ النِّعَمِ مِنَ اللهِ، ثُمَّ لَا يَستَحِي مِنَ الِاستِعَانَةِ بِهَا عَلَى ارتِكَابِ مَا نَهَاهُ عَنهُ!

وَيَتَوَلَّدُ الحَيَاءُ مِنَ «المَعرِفَةِ بِعَظَمَةِ اللهِ وَجَلَالِهِ وَقُدرَتِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا ثَبَتَ تَعظِيمُ اللهِ فِي قَلبِ العَبدِ، أَورَثَهُ الحَيَاءَ مِنَ اللهِ وَالهَيبَةَ لَهُ، فَغَلَبَ عَلَى قَلبِهِ خَمسَةُ أُمُورٍ:

أَوَّلًا: ذِكرُ اطِّلَاعِ اللهِ العَظِيمِ إِلَى مَا فِي قَلبِهِ وَجَوَارِحِهِ. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾.

ثَانِيًا: وَذِكرُ المَقَامِ غَدًا بَينَ يَدَيهِ.

ثَالِثًا: وَسُؤَالُهُ إِيَّاهُ عَنۡ جَمِيعِ أَعمَالِ قَلبِهِ وَجَوَارِحِهِ. ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦].

رَابِعًا: وَذِكرُ دَوَامِ إِحسَانِهِ إِلَيهِ، بِأَنوَاعِ الإِحسَانِ

وَالإِنعَامِ وَالأَرزَاقِ وَالعَطَايَا، وَهُوَ سُبحَانَهُ كَثِيرُ الإِحسَانِ، فَلَا نِهَايَةَ لِإِحسَانِهِ. ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

خَامِسًا: وَقِلَّةُ الشُّكرِ مِنْهُ لِرَبِّهِ. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

فَإِذَا غَلَبَ ذِكرُ هَذِهِ الأُمُورِ عَلَى قَلبِهِ، [انبَعَثَتْ] مِنَ العَبدِ قُوَّةُ الحَيَاءِ مِنَ اللهِ، فَاستَحيَى مِنَ اللهِ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى قَلبِهِ، وَهُوَ مُعتَقِدٌ لِشَيءٍ مِمَّا يَكرَهُ؛ أَو عَلَى جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ، تَتَحَرَّكُ بِمَا يَكرَهُ، فَطَهَّرَ قَلبَهُ مِنْ كُلِّ مَعصِيَةٍ، وَمَنَعَ جَوَارِحَهُ مِنْ جَمِيعِ مَعَاصِيهِ»[(١)].

فَيَستَحيِي مِن رَبِّهِ أَن يَرَاهُ عَلَى مَا يَكرَهُ، أَو يَسمَعَ مِنهُ مَا يَكرَهُ، أَو يُخفِيَ فِي سَرِيرَتِهِ مَا يَمقُتُهُ عَلَيهِ[(٢)].

---

(١) «تعظيم قدر الصَّلاة» (٢/ ٨٢٦)، للإمام محمد بن نصر المَرْوَزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ [بتصرُّف وزيادة].

(٢) «فوائد الفوائد» (ص٧١).

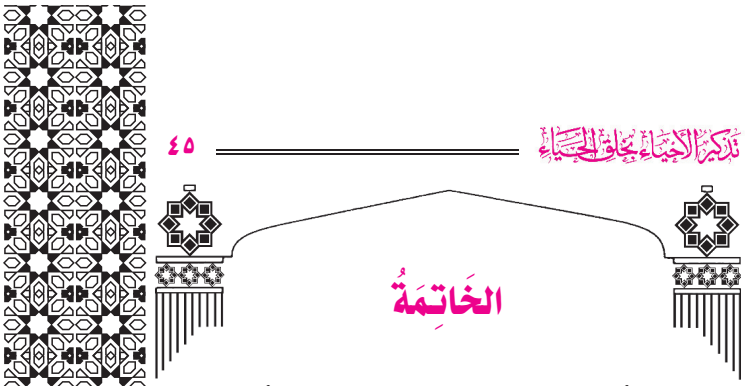

الخَاتِمَةُ

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجمَعِينَ، وَمَن تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَبَعْدُ:

إِنَّ الِاتِّصَافَ بِالحَيَاءِ مِنَ المَطَالِبِ العَالِيَةِ، وَالمَقَاصِدِ السَّامِيَةِ، وَالمَوَاهِبِ الغَالِيَةِ؛ وَأُمنِيَةٌ عَظِيمَةٌ، وَغَايَةٌ كَرِيمَةٌ، لَا تَصْلُحُ الأَحْوَالُ إِلَّا بِهَا.

يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ «الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، وَالتَّوْفِيْقُ فِيْ الأَعْمَالِ، وَصَلَاحُ الْبَالِ، وَنَيْلُ الْمَطَالِبِ، وَتَحْقِيْقُ الْمَآرِبِ؛ وَفِي الآخِرَةِ أَجْرٌ عَظِيْمٌ، وَثَوَابٌ جَزِيلٌ». وَعَطَاءٌ جَسِيمٌ، وَخَيرٌ غَزِيرٌ، وَفَوْزٌ دَائِمٌ.

الحَيَاءُ جَوهَرَةٌ ثَمِينَةٌ، غَالِيَةُ القِيمَةِ، فَقَدَهُ السَّوَادُ الأَعظَمُ مِنَ النَّاسِ.

عَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ جَاهِدِيْنَ عَلَى إِحْيَاءِ خُلُقِ الْحَيَاءِ، الْخُلُقِ الرَّفِيْعِ النَّبِيلِ فِي أَنْفُسِنَا، وَفِي الآخَرِينَ؛ خَاصَّةً عِنْدَ النِّسَاءِ، فِي زَمَنٍ ضَاعَ فِيهِ الحَيَاءُ.

فَالقِيَامُ بِإِحيَاءِ خُلُقِ الحَيَاءِ أَجرُهُ عَظِيمٌ، وَمَصَالِحُهُ عَظِيمَةٌ، وَالإِهمَالُ إِثمُهُ كَبِيرٌ، وَمَفَاسِدُهُ جَسِيمَةٌ.

وَلَئِن لَم نَقُم بِوَاجِبِنَا فَالخَطَرُ عَمِيمٌ، وَالمُستَقبَلُ وَخِيمٌ، وَالضَّرَرُ جَسِيمٌ، وَالعَذَابُ أَلِيمٌ.

وَاللَّهُ المُستَعَانُ، وَعَلَيهِ التُّكلَانُ، وَإِلَيهِ الرَّغبَةُ؛ وَهُوَ المَسْؤُولُ بِأَنْ يُوَفِّقَنَا، وَسَائِرَ إِخوَانِنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ: لِتَحقِيقِ الحَيَاءِ عِلمًا وَعَمَلًا، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالمَانُّ بِهِ، وَهُوَ حَسبُنَا وَنِعمَ الوَكِيلُ.

* * *

الفِهرِسُ

المُقَدِّمَةُ ٣
تَعريفُ الحَيَاءِ ٥
فَضَائِلُ الحَيَاءِ: ٥
أَوَّلًا: الحَيَاءُ مِفتَاحُ كُلِّ خَيرٍ ٥
ثَانِيًا: الحَيَاءُ إِيمَانٌ ٧
ثَالِثًا: الحَيَاءُ أَبهَى زِينَةٍ ٩
رَابِعًا: الحَيَاءُ خُلُقٌ يُحِبُّهُ اللهُ ﷻ ١٠
خَامِسًا: الحَيَاءُ يَقُودُ إِلَى الجَنَّةِ ١١
سَادِسًا: الحَيَاءُ خُلُقُ الإِسلَامِ ١٢
سَابِعًا: الحَيَاءُ شَرِيعَةُ جَمِيعِ الأَنبِيَاءِ عليهم السلام ١٣
ثَامِنًا: الحَيَاءُ مَانِعٌ مِن فِعلِ المَعَاصِي ١٤
كَيفَ يَكُونُ الحَيَاءُ مِنَ اللهِ تَعَالَى؟ ١٧
خَلوَةُ الَّذِينَ لَا يَستَحيُونَ مِنَ اللهِ ﷻ ٢١

نَمَاذِجُ مُشرِقَةٌ مِنَ الحَيَاءِ ٢٦
مَظَاهِرُ قِلَّةِ الحَيَاءِ ٢٩
كَثرَةُ خُرُوجِ المَرأَةِ مِنَ البَيتِ ٢٩
خُرُوجُ المَرأَةِ مُتَعَطِّرَةً ٢٩
مَشيُ المَرأَةِ فِي وَسَطِ الطَّرِيقِ ٣١
وَضعُ المَرأَةِ ثِيَابَهَا فِي غَيرِ بَيتِ زَوجِهَا ٣٢
التَّحَدُّثُ بِمَا يَجرِي مَعَ الزَّوجِ ٣٣
بَذَاءَةُ اللِّسَانِ وَفُحشُ القَولِ ٣٤
خُرُوجُ النِّسَاءِ كَاسِيَاتٍ عَارِيَاتٍ..... ٣٥
صُوَرٌ مِنَ الحَيَاءِ المَذمُومِ ٣٩
١- تَركُ الأَمرِ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ المُنكَرِ ٣٩
٢- مُقَارَفَةُ الإِثْمِ اسْتِحيَاءً مِنَ النَّاسِ..... ٤٠
٣- تَركُ طَلَبِ العِلمِ ٤١
مِمَّ يَتَوَلَّدُ الحَيَاءُ؟ ٤٢
الخَاتِمَةُ ٤٥
الفِهرِسُ ٤٧